مجلّة انـــتـحـــــــاء

Journal
Available online at:www.ens-ouargla.dz
ISSN :2992-1546المجلد (2) العدد(4)(2025): رقم صفحة البداية58– رقم صفحة النهاية 70

الاستعارات التصوّرية في خطاب الأزمة البيئية
خطاب الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون نموذجا

Conceptual Metaphors in Environmental Crisis Discourse: A Case Study of Algerian President Abdelmadjid Tebboune's Speech

أ. خالد جخراب
djoukhrab.khaled@ens-ouargla.dz
المدرسة العليا للأساتذة بورقلة
أ. دعاء خريف- المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

تاريخ الاستلام: 2025/09/06 تاريخ القبول: 2025/09/30 تاريخ النشر:2025/10/18

ملخص

كشفت الدراسات عن خصوصية التركيب الاستعاري وتحديد معانيه وفق السياقات التي يكون فيها، وقدّمت تصوّرات كشفت عن ماهيتها في الخطاب الإنساني وحددت معالمها في مختلف الخطابات. ومن بين الخطابات التي تلفت الانتباه خطاب الأزمة البيئية، الذي مازال يتردد صداه في مختلف المحافل العالمية، وقد سعينا من خلال هذه الورقة إلى الكشف عن حقيقة الاستعارة التصورية في هذا الخطاب، وجعلنا من كلمة الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون[1] التي ألقاها على الشعب الجزائري أيام جائحة كورونا مدونة للدراسة. إن الاستعارة مقولة تصورية تحكم مختلف بنياتنا الرمزية سواء بوعي منا أو من غير وعي، مشكّلة بنية جديدة هي حصيلة تفاعل مجالين، يتم وفقها نقل كل سمات المجال الهدف إلى المجال المصدر، كما تؤدي الاستعارة التصورية دورا مهما في الكشف عن الكثير

من الأفكار والإيديولوجيات وأشكال التفاعل داخل المجتمع، فهي توسع من مجال التأويل وتنفتح على تعدد المعاني وتوسيع فضاءه، مما يجعل المستمع يتفاعل معها، وهو التصور الذي يجعل منها فاعلة كسلطة رمزية، وبالتالي يمكن اعتبارها بمثابة وسائل تكتيكية لأفعالنا الكلامية.

الكلمات المفتاحية: استعارة، تصوّر، خطاب، فضاء، كوفيد...

Abstract

Studies have revealed the distinctive nature of metaphorical structure and the determination of its meanings according to the contexts in which it occurs. They have also provided conceptual frameworks that uncover its essence within human discourse and define its features across various forms of communication. Among the discourses that draw particular attention is the discourse on the environmental crisis, which continues to resonate across international forums. Through this paper, we seek to uncover the nature of conceptual metaphor in this discourse, taking as our corpus the speech delivered by Algerian President Abdelmadjid Tebboune to the Algerian people during the COVID-19 pandemic.

Metaphor is a conceptual category that governs our various symbolic structures, whether consciously or unconsciously, forming a new structure that results from the interaction of two domains. Through this interaction, the attributes of the source domain are transferred to the target domain. Conceptual metaphor plays an important role in revealing numerous ideas, ideologies, and forms of interaction within society. It expands the field of interpretation, opens up to multiplicity of meanings, and broadens their scope, thereby engaging the listener. This conception renders metaphor an active symbolic force, which allows it to be regarded as a tactical instrument of our speech acts.

Keywords: metaphor, conception, discourse, space, COVID-19...

مقدمة

يمثل البحث في موضوع الاستعارة أحد أهم الأبحاث التي اهتم بها الباحثون قيما وحديثا، وقد سعت مجمل هذه الدراسات إلى الكشف عن خصوصية التركيب الاستعاري وتحديد معانيه وفق السياقات التي يكون فيها، ومع ظهور البلاغة الجديدة تعددت أنظار الباحثين للاستعارة، فقدموا تصورات كشفت عن ماهيتها في الخطاب الإنساني وحددت معالمها في مختلف الخطابات.

ومن بين الخطابات التي تلفت الانتباه خطاب الأزمة البيئية، الذي مازال يتردد صداه في مختلف المحافل العالمية، وقد سعينا من خلال هذه الورقة إلى الكشف عن حقيقة الاستعارة التصورية في هذا الخطاب، وجعلنا من كلمة الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون[1] التي ألقاها على الشعب أيام جائحة كورونا مدونة للدراسة.

أولا مفهوم الاستعارة التصورية:

ليس هدفنا في هذا البحث أن نأتي على مختلف تعريفات الاستعارة التصورية، وليس هدفنا أيضا الوقوف على تطور مفهومها من لايكوف وجونسون إلى الباحثين بعدهما، ولكننا سنقدم مفهوما يوضح لنا حقيقة هذا المصطلح. وعليه فإننا نقول إن الاستعارة التصورية هي آلية ذهنية تمكننا من تصور مجال ذهني انطلاقا من مجال ذهني آخر، حيث تقوم "على فهم ميدان تصوري ما وليكن الميدان (أ) عن طريق ميدان تصوري آخر وليكن (ب)، يسمى أولهما الميدان الهدف(Target domain) وثانيهما الميدان المصدر (Source domain)"[2]، وذلك بإسقاط الخصائص المتعلقة بالمجال المصدر على المجال الهدف،" الذي هو جملة التناسبات التي تقوم بين المجالين"[3]، حيث يحدث ترابط بينهما، فعندما نقول مثلا: الحياة رحلة، تقوم هذه الاستعارة على فهم ميدان الحياة عن طريق ميدان الرحلة، من خلال إسقاط خاصياتها عليها، فالحياة كالرحلة لها بداية هي ساعة الميلاد ولها نهاية هي ساعة الموت، وهناك مسار يسلكه المرتحل، في هذا المسار عوائق ومطبّات ومنعرجات واستراحات وغيرها"[4]، ونحو ذلك قولنا أيضا (الزّمن مال)، الذي يمكن أن نكوّن

منه استعارات عديدة من قبيل: لا تضيع وقتك، هذه العملية ستجعلك تربح ساعات، استثمر وقتك فيما يفيد، ليس لدي وقت أمنحك إياه، عليك أن تستغل وقتك، ليس لدي وقت أخسره...وغيرها من النماذج، فمن خلال فهمنا يمكننا تصور عديد الصور على حقيقة الزمن وقيمته، فنحن نفهم الزمن على أنه مال وذلك من خلال إسقاط المعارف المتعلقة بمجال المال على مجال الزمن فتحدث علاقة بين المفهومين، فهو مورد محدود من حيث كمِّه إذ نستعمله لتحقيق مآربنا(...)، كما أننا نتصرف كما لو كان الزمن شيئا نفيسا وموردا محدودا وكما لو كان مالا، فإننا نتصور الزّمن بهذه الطريقة وبهذا نفهمه ونعيشه باعتباره شيئا يستهلك ويصرف ويقاس ويستثمر بصورة جيدة أو سيئة ويتم توفيره أو تضييعه[5].

إذن فإسقاط خصائص المال على الزّمن يسمح لنا بفهم الزّمن وإمساكه ولكنه ليس إسقاطا كليّا بل هو جزئي "فلا يعني إسقاط جميع خاصيات ميدان المصدر على الميدان الهدف بل هو إسقاط تبئيري يقع فيه انتقاء خاصيات دون أخرى"[6] مما يحافظ على مبدأ الثّبات للمجال الهدف الذي يحافظ على الأبعاد المفهومية الطوبولوجية الخاصة به وتكون الغلبة له من ناحية أخرى[7]، ولو كانت الإسقاطات كلية لكان تصورا ما تصورا آخر بدلا من أن يكون متضمّنا فقط في تصور آخر؛ أي سيُكَوِّنان التصور نفسه(الميدان الهدف والميدان المصدر)، فالزّمن مثلا ليس مالا حقا إذا أعطيت بعضا من وقتك في محاولة القيام بشيء ما وبذلت فيه ساعات أو أيام ولم تحصل على النتيجة المرغوبة فإنه لا يمكنك استرداد وقتك، ولا يوجد بنك يودع فيه الوقت وبإمكاني أن أمنحك الكثير من وقتي ألاّ أنه ليس بإمكانك إرجاع وقتي لي وإن أعطيتني نفس الكمية من الوقت فالتّصور الاستعاري دائما يكون مبنينا جزئيا[8]. ويذكر الباحثون في مجال الاستعارة التصورية أنواعا كثيرة لها يمكننا حصرها فيما يلي:

أولا : الاستعارات الاتجاهية:

سميت هذه الاستعارات بالاستعارات الاتجاهية كونها مرتبطة أساسا بالاتجاه الفضائي، من مثل: عال-مستفل، داخل-خارج، أمام-وراء، فوق-تحت، عميق-سطحي، مركزي-هامشي، ارتباطا بحسب كيفية اشتغال أجسادنا في المحيط الفيزيائي الذي نعيش فيه[9].

الاستعارات الاتجاهية	المرتكزات الفيزيائية للتصور	دلالة الاتجاه
_ ماعدا أمام طائرات نقل البضائع	_ أمام	_ أمام: دلالة على سعي الجزائر لحل الأزمة وتجنّب الوقوع في الخسائر المادية والبشرية.
_ رفع الآذان	_ رفع	_ الارتفاع تعني القوة والقداسة وبالتالي تقديس حرمة الآذان باعتبار الدولة الجزائرية دولة مسلمة.
_ حياة المواطن والمواطنة فوق كل اعتبار	_ فوق	_ فوق: دلالة على اهتمام الدولة الجزائرية بحياة مواطنيها وكرامتهم. _ الحرص على الحياة .
_اتخذت الدولة _التصدي بكل فاعلية _ إن هذا التحرك المبكر ساعد على _ تتابع تفشي هذا الوباء أول بأول _ كنا من السباقين _ الزيادة في قدرة المستشفيات	(اتخذت + التصدي + التحرك المبكر + أول بأول+ السباقين + الزيادة + طويلة الأمد + مزيد + تصاعدي)	_ دلالة على الحذر والحيطة و التيقظ والقوة والانظباط من الدولة الجزائرية. _ الدعم والثقة. _ زيادة الأهمية والفاعلية . _ زيادة العزلة.

_ وضع خطة طويلة الأمد _ مزيدمن التحسس والتوعية _ تشديد إجراءات الرقابة بشكل تصاعدي في المطارات..		

يظهر في خطاب الرئيس عبد المجيد تبون عدة استعارات اتجاهية ذات دلالات نسقية مختلفة، فهي تعمل على صناعة الوعي لمتلقي هذا الخطاب وتغيّر له طريقة تفكيره، فالكلمات الآتية: (أمام _ فوق _ رفع _ تحت _ ...) هي ليست كلمات اعتباطية عادية وردت في الخطابات بل على العكس فهي توحي بتفسيرات عميقة يسعى صاحب الخطاب إلى إيصالها، فهذا الجدول تضمن استعارات توضح اهتمام الدولة الجزائرية بحياة مواطنيها وكرامتهم في إبان أزمة كورونا، وسعيها إلى إيجاد الحلول اللازمة للحفاظ على صحتهم والحد من انتشار هذا الفيروس الخطير، الذي تسبب في تدمير العالم بأسره، وهي إشارة لصورة "الوطن الآمن" بالإحالة إلى خطورة العيش في المناطق الموبوءة والمتضررة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حذر وحيطة الدولة الجزائرية وسرعتها في اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية صحة المواطنين فحياتهم مهمة عند المسؤول الأول في البلاد، إضافة إلى هذه الاستعارات هناك استعارات أخرى يظهر من خلالها أن الدولة الجزائرية دولة مسلمة حريصة على تطبيق معالم الدين الإسلامي، فرفع الآذان في المساجد دون النظر إلى الوضع الراهن لكورونا فيه دلالة على أهمية الآذان وقداسة الشعائر الإسلامية وارتفاع صوت التوحيد في المجتمع الجزائري.

ثانيا: الاستعارات الأنطولوجية (الوجودية):

هذا النوع من الاستعارة يعطينا طرقا للنظر إلى الأحداث والأفكار، فهي استعارات تستدعي ألفاظا دالة على غير المحسوس تظهر في الأحداث والأفكار والأحاسيس باعتبارها كيانات وأشياء مادية محسوسة بغرض جعلها ملموسة[10].

تصور الدولة الجزائرية بالأم:

الدولة معنى مجردٌ غير ملموس، وهذا الخطاب الذي بين أيدينا يعطي للدولة الجزائرية صورة ملموسة، من خلال تصور أن الدولة الجزائرية واعية وحريصة على أرواح مواطنيها وتوفر الرعاية اللازمة لهم خصوصا خلال المحنة والظرف الحساس _كوفيد19_ المعروف بفيروس كورونا الخطير، الذي هدد أمن العالم أجمع خلال السنوات الماضية. وبهذا تكون الدولة الجزائرية كغيرها من الدول بعد أن تأثرت بالجائحة ملزمة بأن تكون واعية بحساسية الفترة، وحريصة كل الحرص على المواطن بالصفة الأخص لأنه صاحب الأولية.

فهذه الاستعارة صورتْ الدولة الجزائرية في سياق تصوري بمثابة الأم، فتم الإسقاط الاستعاري على اعتبار أن الأم مجالا للمصدر على مجال الهدف _ الدولة الجزائرية_ وذلك عائد لما توفره الدولة للمواطنين من حماية ورعاية وهلع من خسارة صحة المواطنين كونهم ثروة بشرية، وقبل كل شيء هم جزء لا يتجزأ من الدولة لا يمكن التفريط فيهم بأي شكل من الأشكال. وهذا الخطر المتمثل الذي يستدعي أن تكون الدولة الجزائرية ومساندة إلى جانب المواطنين ضد التهديد بصحتهم ويمكن توضيح هذا التصور في الشكل الآتي :

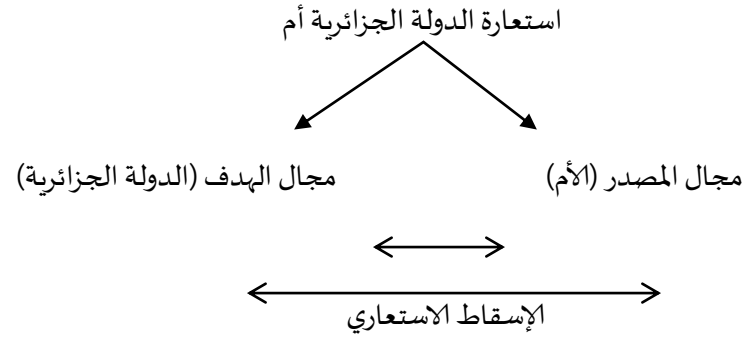

من خلال الإسقاط الاستعاري نتج تعبير استعاري، فتم إسقاط المعارف المتعلقة بالمصدر(الأم) وما تقوم به من واجبات اتجاه عائلتها عموما وعلى الخصوص اتجاه أطفالها من عطاء وبطولة وتضحية ومساندة، فالأم لا تترك أبناءها وحدهم مهما كانت الظروف المحيطة بها صعبة ومستحيلة، فهي تقوم بالتضحية بالوقت والجهد وبالأمور التي تحبها في سبيل راحة أبنائها وسعادتهم. وهذا ما عرض في مجال الهدف (الدولة الجزائرية)، بأنها أقرب وأكثر حساسية اتجاه الشعب الجزائري داخل وخارج البلاد؛ أي أنها مستعدة لتوفير كل ما يجب توفيره لإنقاذ المرضى والمصابين وحماية الأصحاء، ومن النماذج الاستعارية نجد:

_ الدولة قوية واعية بحساسية الظرف.
_ مصغية لقلق المواطنين.
_ منشغلة بهمومهم.
_ حريصة.
_ مسؤولة.
_ حماية الأشخاص.
_ توفير الحماية الصحية والرعاية.
_ لا شيء أعز عند الدولة من صحة المواطنين.

ثالثا: الاستعارات البنيوية:

تتأسس الاستعارات البنيوية على ترابطات نسقية داخل تجربتنا، حيث يسمح لنا وجودها بإيجاد الوسائل الملائمة لتسليط الضوء على بعض المظاهر، فتعمل على إظهار بعض التصورات وإخفاء أخرى. إننا عندما نتبنى رأيا معينا، نستعمل كل الوسائل المتاحة للدفاع عن تصوراتنا: التحدي، التهديد، التسلط، الشتم، والتلميحات... بمحاولة تقديم حجج عقلية على شكل أسباب، وذلك عن طريق حمل الآخر تصورات تعكس ما يسعى إليه[11].

تصور جائحة كورونا كوفيد_19 حرب:

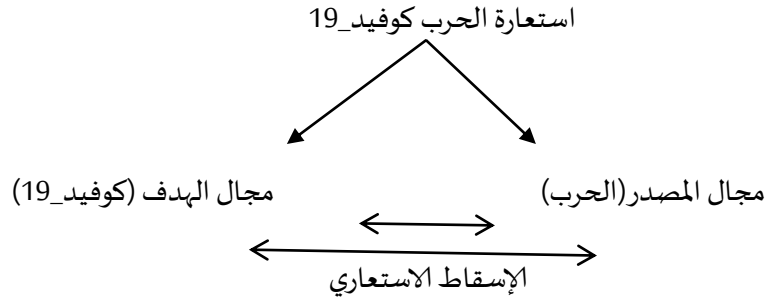

مجال المصدر	مجال الهدف	الأثر المحتمل
محنة _ تفشي _ إجراءات _ التصدي _ حالة طوارئ_ المواجهة_ إجلاء_ بؤرة_ الأزمة_ محاربة_ قلق ورعب_ وضع خطة_ أمن وطني_ جندته الدولة. (الحرب)	الفيروس_ العلاج_ الوحدات الاستشفائية _الوقاية_ الاخصائيين_ إرجاع المواطنين_ التعقيم الفوري_ منع التجمعات_ إنعاش_ أجهزة الوقاية_ مواد صيدلانية_ أدوية_ المواطنين والمواطنات_ الحجر الصحي_ أمن صحي. (كوفيد_19)	_ التضحية. _ الانضباط. _ الطاعة. _ الحذر. _ عسكرة المجال الطبي. _ زيادة مخاطر الحياة. _ العطاء وبذل القوة. _ الحرص على الحياة.

يظهر الجدول التناظر بين مجالات الحرب وجائحة كورونا (كوفيد-19)، ويستغل هذا التناظر في توليد دلالات استعارية تساعدنا في معرفة هذا التزاوج بين مجالي الحرب وجائحة كوفيد-19. هذه الاستعارات عادة ما تسهم في فهم الأمور بشكل أفضل بحيث تعزز الفهم والتفسير للظواهر المختلفة.

وعند الحديث عن الاستعارات البنيوية في مجال الحرب وكورونا، يمكن ملاحظة استخدام بعض الألفاظ والتعبيرات التي تدل على ما يمكن أن يخلفه الحرب وجائحة كوفيد-19 من المعاناة والضرر والخراب. وفيما يلي بعض الأمثلة عن الاستعارات البنيوية في سياق الحرب وجائحة كوفيد-19:

• مصطلح الأمن (الصحي/الوطني) في سياق الحرب وكورونا يرمي إلى المجهودات المبذولة بهدف الحفاظ على الاستقرار النفسي والجسدي للمجتمع رغم كل الظروف.

ففي حالة الحرب يتدخل القطاع العسكري بوسائله الخاصة لضمان سلامة الممتلكات الوطنية والبشرية والمادية من تعسف وهجمات العدو.

أما في حال جائحة كوفيد-19 فيستخدم المصطلح للحفاظ على سلامة الصحة العامة للمجتمع، حيث تسعى الدولة لتعزيز المعدات الطبية اللازمة ونشر الوعي لاتخاذ التدابير الوقائية للحد من تفشي الفيروس، والحفاظ على السلامة الصحية للمجتمع.

• في سياق الحرب وكورونا يستخدم مصطلح (حالة الطوارئ) للتعبير عن التغير المفاجئ للوضع المعتاد فيستدعي اتخاذ إجراءات فورية للحفاظ على السيطرة.

يُستخدام هذا المصطلح في الحرب حال وقوع هجوم لم يسبق التنبؤ به فيترتب عنه تدخل عسكري سريع للحفاظ على الاستقرار الوطني.

أما بالنسبة لجائحة كوفيد-19 فقد تم إعلان حالة الطوارئ بناء على خطورة الفيروس وذلك باتخاذ التدابير الوقائية اللازمة لحماية الصحة العامة والحد من انتشار المرض.

• يستخدم مصطلح (محنة) أيضا في سياق الحرب و الأوضاع الصحية الصعبة كما هو الحالفي جائحة كورونا، فقد وظف هذا المصطلح للدلالة على الأوضاع الصعبة التي يواجهها الشعب أو الدولة بحيث توجب إيجاد وسائل وحلول لتجاوز هذه الأوضاع أو التعايش معها.

وعادة ما يستخدم مصطلح (محنة) في الحرب لوصف الظروف المأساوية التي تمس مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها أثناء الصراع المسلح.

أما عن استخدام المصطلح في سياق جائحة كورونا فيشير إلى التحديات والصعوبات التي يواجهها العالم نتيجة للأزمة التي خلفتها جائحة كورونا من الخسائر المادية والبشرية.

• نجد كذلك استخدام مصطلح (الحجر) في نفس السياقات السابقة، فأثناء الحرب يقصد بالحجر تلك الوسيلة التي تهدف لحماية الأمن العام للمواطنين والأمن الخاص للمناضلين.

بينما يستخدم المصطلح نفسه في جائحة كورونا ليدل على الطرق الوقائية التي تعتمدها الدولة للحد من تفشي الفيروس وضمان السلامة الفردية والعامة.

• قد يتوجب في حال الحرب وكوفيد-19 استخدام مصطلح (إجلاء السكان) لترحيل السكان من مقر سكناهم وعادة ما يكون عرضة للخطر إلى مناطق أكثر حماية.

ويكون في الحرب ضرورة حتمية لإنقاذ حياة السكان المقيمين في المناطق المستهدفة من طرف العدو المسلح.

أما إذا تحدثنا عن هذا المصطلح ونحن في سياق جائحة كورونا فنجده يرمي إلى ترحيل السكان وإجلائهم إلى موطنهم الأصلي.

• نجد كذلك في السياقات نفسها استخدام مصطلح (قلق ورعب) وهذا ما يفسر حالة الخوف والهلع والرعب.

ويكون في حالة الحرب مخافة ما قد يحدثه العدو بأهل البلد من قتل وتعذيب وتشريد وتدمير.

أما في حال إسقاط مصطلح القلق والرعب على جائحة كوفيد-19 فهو يعبر عن الحالة النفسية التي يخلقها هذا الفيروس بين الناس من المعاناة والقلق من العواقب الصحية والاجتماعية والاقتصادية.

ختاما يمكننا القول إن الاستعارة ليست مجرد زخرف وزينة، إنّما مقولة تصورية تحكم مختلف بنياتنا الرمزية سواء بوعي منا أو من غير وعي، مشكّلة بذلك بنية جديدة هي حصيلة تفاعل مجالين، يتم وفقها نقل كل سمات المجال الهدف إلى المجال المصدر، كما تؤدي الاستعارة التصورية دورا مهما في الكشف عن الكثير من الأفكار والإيديولوجيات وأشكال التفاعل داخل المجتمع، فهي توسع من مجال التأويل وتنفتح على تعدد المعاني وتوسيع فضاءه، مما يجعل المستمع يتفاعل معها، وهو التصور الذي يجعل منها فاعلة كسلطة رمزية، وبالتالي يمكن اعتبارها بمثابة وسائل تكتيكية لأفعالنا الكلامية.

المصادروالمراجع:

- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، دار محمد علي للنشر، تونس، دط، دت.

. أسماء حمايدية، الاستعارة التصورية وآليات اشتغالها عرفانيا(نماذج خطابية مختارة)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية،ج02، 2019.

. جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال، المغرب، ط2، 2008.

. عطية سليمان أحمد الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي، البنية التصورية، النظرية العرفانية).

الهوامش والإحالات

[1]. وكالة الأنباء الجزائرية 2020/03/17، النص الكامل لخطاب رئيس الجمهورية الموجه للأمة، اطُلِعَ عليه يوم 2023/11/24، رابط الموقع:https://www.aps.dz/ar/algerie/85403-2020-03-18-08-08-13

[2]. أسماء حمايدية، الاستعارة التصورية وآليات اشتغالها عرفانيا(نماذج خطابية مختارة)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية،ج02 ،2019، ص168.

[3] ينظر: عطية سليمان أحمد الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي، البنية التصورية، النظرية العرفانية)، دط، دت، ص60.

[4]. أسماء حمايدية، الاستعارة التصورية وآليات اشتغالها عرفنيا(نماذج خطابية مختارة)، ص168.

[5]. ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال، المغرب، ط2، 2008، ص26.

[6]. أسماء حمايدية، الاستعارة التصورية وآليات اشتغالها عرفنيا، ص168.

[7]. ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، دار محمد علي للنشر، تونس، دط، دت، ص145.

[8]. جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها،ص31.

[9]. المرجع نفسه، ص33.

[10]. ينظر: لايكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص46.

[11]. ينظر: لايكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص82.